في الأدب الانكليزي

هل من انتحال في الأدب الانكليزي ؟

للسيد جريس القسوس

أخي ح . ش :

لقد مضى نحو عام على رسالتك التي بعثت بها إلى تطلب فيها أن أشرح لك المشكلة الشكسبيرية التي تثار من حين إلى آخر . واليوم أراك تباغتني بسؤال آخر قلما التفت له الباحثون في الأدب الانكليزي . وقبل الاجابة على سؤالك لا بد من لفت نظرك إلى الفصل الممتع الذي عقده الدكتور طه حسين تحت موضوع : « ليس الانتحال مقصوراً على العرب » ، في كتابه « الأدب الجاهلي » بين فيه أن الانتحال لم يقتصر على العرب ؛ بل كان عند الأمم القديمة ، كاليونان والرومان ، ولا أعلم هل في الآداب الأوربية الحديثة ، خلا الانكليزية ، شيء من هذا ؛ وكل أملي أن يتعاون الباحثون في الأدب على بحث موضوع الانتحال في آداب الأمم الحية ، لعلهم بذلك يتوصلون إلى نتيجة مرضية ، تشفي الغليل ، وتنير السبيل أمام الباحثين في موضوع الانتحال عند العرب . أما في الأدب الانكليزي ، فلم يُعرف الانتحال ، على ما أعلم ، إلا في القرن الثامن عشر ؛ وقد يكون هناك شيء منه في غير هذا القرن ، لكنه ضئيل تافه إذا قيس بما عُزي إلى الشاعرين الكبيرين James Macpherson جيمس مكفرسن ، و Thomas Chatterton توماس تشاترتن من الانتحال

— ٢ —

من هو مكفرسن ؟

وقبل التطرق إلى البحث في الانتحال المنسوب إلى هذين الشاعرين ، لا بد من كلمة مقتضبة ، نترجم بها لكليهما ، ذلك لما للحوادث في حياتهما من علاقة متينة بموضوع هذا البحث . لهذا نشرع بادئ ذي بدء بمكفرسن فنقول :

ولد جيمس مكفرسن قرب كنغوسي Kingussie ، في سكوتلندا ، في ٢٧ أكتوبر سنة ١٧٣٦ . وكان أبوه مزارعاً وضيع النسب ، فقير الحال ؛ لكنه برغم ذلك استطاع بجده ودهائه أن يدخل ابنه جامعة أبردين Aberdeen وبعدها جامعة أدنبرغ Edinburgh . ولقد عُرف الشاعر صغيراً بالنبوغ الأدبي فألم بالشعر الغاليق Gaelic إلماماً كبيراً ؛ ونظم وهو تلميذ ما ينيف على أربعة آلاف بيت من الشعر ، نشر بعضها تحت عنوان « الانجاد » The Highlands سنة ١٧٥٠ ، وأهمل البعض الآخر لأمر ما

ولقد زاده ولوعاً بالأدب ما لاقاه من تشجيع أصدقائه له على نشر منظوماته . ففي نيوفات Neoffat مثلاً التقى بجون هوم John Hume وأطلعه على بعض قصائده ، فأعجب بها ، وأشار عليه بنشر بعضها ، خاصة ما ادّعى أنها مترجمة عن الشعر السكوتلندي القديم مثل « مقطعات من الشعر القديم جمعت في جبال سكوتلندا ، وترجمت عن اللغة الغاليقية » وهي في الأصل الانكليزي كما يلي :

(Fragments of Ancient Poetry, collected in the Highlands, & translated from the Gaelic or Ersic language)
(Edinburgh 760)

ليس هذا فحسب ، فقد أمدّه الدكتور هيوج بلاير Hugh Blair بإعانة مالية مكّنته من نشر هذه الأشعار ، ذلك لظنه بأن أكثر هذه الأشعار مترجمة غير موضوعة

وفي خريف سنة ١٧٦٠ ، زار الشاعر بعض القرى السكوتلندية ، وعثر فيها على مخطوطات قديمة فافتتن بها ، حتى أنه ما عتم أن ترجم أحدها بمعاونة الأديبين الكابتن موريسن Captain Morrison والقس أ . غالي Rev. A. Gaile

وفي سنة ١٧٦١ ، أعلن اكتشافه لقصيدة حماسية Epic موضوعها فنغال : Fingal نشرها تحت عنوان ضخم هو «فنغال في ستة كتب ، مرفقة بقصائد أخرى متفرقة للشاعر أوسيان ابن فنغال ، مترجمة عن اللغة الغاليقية »

وعنوانها الأصلي هو : —

(Fingal, an ancient epic poem Six Books, together with several other poems composed by Ossian, the son of Fingal, translated from the Gaelic language)

أما Fingal فهو الاسم الذي وضعه مكفرسن للبطل الايرلندي الخرافي (فن) Finn الذي آزر كنولن حاكم ايرلندا ، ووقف معه في وجه خصمه العنيد سواران Swaran ملك لوخلين Lochlin حتى تمكن في النهاية من قهره ، وإيقاعه في الأسر

وفى سنة ١٧٦٣ ، نشر قصيدة أخرى حماسية ، اسمها (تيمورا) Temora ومجموعة شعرية موضوعها Works of Ossian

أما تيمورا Temora هذا فاسم قصر ملوك ألستر Ulster ؛ وفى هذه القصيدة تتمة الحوادث الواردة فى فنغال Fingal

أما أوشان Ossian فهو ابن فنغال نفسه ؛ وقد كان فارساً مغواراً ، وشاعراً مجيداً ؛ عاش على ما جاء فى الأساطير الغاليقية فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وإليه يعزو مكفرسن وغيره من الأدباء هذه المنظومات الحماسية الرائعة ، التى تدور على بطولة فنغال وقومه[1]

وجميع هذه الآثار الأدبية التى نشرها مكفرسن ، معلناً أنها مترجمة موضوعة بأسلوب أقرب الى النثر منه الى الشعر ؛ ذلك لما فيه من التسجيع والايقاع المتكلف

ويُعدّ أسلوب مكفرسن الأدبى من أروع الأساليب وأجلها وموضوع أدبه من أبعد المواضيع أثراً فى تعجيل الحركة الابتداعية Romanticism ونشرها قبيل مجيء وردزورث . ولا يقتصر نفوذه على الأدب الانكليزى فحسب ، بل تمتد الى الأدب الأوروبى عامة ، والألمانى خاصة . فقد ترجمت منتوجاته إلى أغلب اللغات الحية وكان غوته وهردر Herder الشاعر والنقادة الألمانى الشهير من هواة أدبه

ويروى أن ترجمة كيساروتى Cesarotti الايطالية لقصائد مكفرسن ، كانت من أحب الكتب إلى نابليون

وبعد رجوعه من رحلاته الكشفية فى سكوتلندا ، تقلب مكفرسن فى وظائف شتى ، فمن سكرتير للجنرال جونستون Johnston فى جزيرة فلوريدا ، إلى عضو فى البرلمان ؛ وهو فى أثناء ذلك لا ينقطع عن الاشتغال بالأدب ، والنشر ، وأهم ما نشره ، خلاف ما عزاه إلى غيره من الترجمات الشعرية ، كتاب « سر تاريخ بريطانيا العظمى » ، ولقد ظل هذا دأبه ، حتى وافته المنية فى ١٧ فبراير سنة ١٧٩٦ ، فدفن فى زاوية الشعراء فى وستمنستر أبى

— ٣ —

مكفرسن والانتحال

كان صموئيل جونسن Johnson الناقد الانكليزى الشهير ودكتاتور الأدب فى القرن الثامن عشر ، أول من نسب إلى مكفرسن انتحال أشعاره ، وإدعاءه أنها مترجمة من الغاليقية . فقد نشر جونسن سنة ١٧٧٥ كتيباً اسمه « رحلة إلى جزر اسكوتلندا الغربية » A Journey to the Western Islands of Scotland هاجم فيه مكفرسن هجوماً عنيفاً ، مبيناً أن مكفرسن إنما عثر على بعض الأشعار والمقطعات القصصية فى الشعر الغاليقى القديم ، فحاك من هذه المقطعات تلك القصائد المطولة ، التى ادعى أنها مترجمة ، ولقد زاد موقف مكفرسن اضطراباً ، ورأى جونسن وغيره من خصوم مكفرسن ، تأكيداً ، أن الشاعر السكوتلندى ينشر الأشعار الأصلية فى صيغتها الأولى ، فيكون بذلك قد برر موقفه ؛ وبرد طعنات خصومه إلى صدورهم ؛ وعذره فى ذلك عجزه عن القيام بنفقات النشر ، وحين لم يستطع أن يصمد أمام الأدباء المعاصرين الذين انقلبوا جميعاً خصوماً له ، لم ير بدّاً من العكوف على نظم بعض القصائد ، والادعاء بأنها الآثار الأدبية الأصلية ، التى نقل عنها

ولقد أثيرت بعد وفاته آراء متضاربة ، حول صحة هذه القصائد ؛ وانقسم الأدباء إلى خصوم وشيعة . ومن أشهر خصومه ملكولم لينغ Malcolm Laing ؛ فقد بيّن فى ملحق كتابه « تاريخ اسكوتلندا » ، سنة ١٨٠٠ ، أن الأشعار الأوشانية Ossian Poems ليست مترجمة ، بل نظمها مكفرسن ، وعزاها إلى غيره

وطرق هذا الموضوع أدباء فرنسيون وألمان إخصائيون فى الأدب الكلتى ، ولفتوا أنظار مؤرخى الأدب إلى نقط مهمة تكشف عن الناحية المبهمة من هذا الموضوع الخطير

ومن خصومه أيضاً الدكتور دوجلاس هايد Dr Douglas Hyde فقد ألف كتاباً اسمه Who were the Finians ذكر فيه أن مكفرسن عرف الاسم الحقيق لفنغال تمام المعرفة ، إنما توخى التحريف والتحويل فى هذه الأسماء ليوهم الأدباء أن أسماء أشخاص قصائده ، إنما هى مترجمة ليس إلا

ولقد عرض اسكندر مكبيان Alexander Macbian فى فصل قيم موضوعه : Who were the Feinn? فى كتابه : قضايا الجمعية الغاليقية فى غلاسكو Transactions of the Gaelic Society of Glasgow ، مختلف الآراء والنظريات المتعلقة بهذا الموضوع ، وخاتمة ذلك الكتاب تتضمن خلاصة ماوصل اليه معظم الباحثين

(١) الرأى بشن هذه القصائد الرائعة فى كتاب (آلام فرتر) بقلم ترجمة صاحب هذه المجلة

فى هذه المشكلة ؛ وخرج من هذا كله بنتيجة معقولة هى أنه لم يعرف فى التاريخ شخصية باسم Fian أو Finn ؟ إنما جل ماهنالك بعض مقطعات فى الشعر الشعبى الخرافى ، فيها بعض الاشارات إلى أبطال إيرلنديين ، لم يثبت التاريخ وجودهم فى عصر ما . أما انتساب (فِنّ) إلى كورمك Cormac أحد ملوك إيرلندا القدماء كما هو ظاهر فى القصيدة «فنغال» ، فهذا أيضاً عار عن الحقيقة إن هو إلا نتاج زائف لخيال مكفرسن وتصويره الشائق

ويذهب مكبيان إلى أبعد من هذا ، فهو يرى أن اتخاذ الايرلنديين (فِنّ) بطلا قومياً ليس بالعجيب ؛ إذ كلّ أمته ، عند نشأتها وتكوينها الاجتماعى والأدبى ، أبطال خياليون ، تنسج حول شخصياتهم الأباطيل والخرافات المتعددة ، فما (فِنّ) بالحقيقة إلا بطل شبيه بهرقل ، وتيسيوس ، وبرسيُس . ولا يبعد أن يكون (فِنّ) هذا إلهاً محليا ، قدسه قومه ، وجعلوا منه بطلاً قومياً . حتى (أوشان) الشاعر الذى ينسب اليه مكفرسن نظم كثير من القصائد التى تدور حوادثها على شخصية (فِنّ) ! أقول ، حتى هذا الشاعر ، فى رأى مكبيان ، وليد الخيال ! لم يعش قط فى عصر ما . أما تفسير كونه ابن فنغال فليس بالأمر العسير ، فهو لا يختلف بذلك عن غيره من الآلهة القديمة التى عُرفت بالاختلاط مع البشر ، والمساهمة معهم فى الحروب ، ومختلف الأحداث ؛ وفى كثير من الأحيان التزاوج مع فئة مختارة منهم

أما جواب مكبيان الأخير على القول السائد ، (أن فنغال عاش وأوشان أنشد) Fingal lived and Ossian sang

فهو إنهما عاشا وأنشدا فى نفوس الشعب الغاليق ، وأخيلتهم الخصبة . لأن ذاك الشعب وجد فى هاتين الشخصيتين الخياليتين ، مثلهم القومية والأدبية العليا مجسمة

أما أنصار مكفرسن فيكتفون بالتشيع لصاحبهم ، دون الاتيان ببراهين وحجج دامغة ، تدحض آراء خصومهم دحضاً ، وتدفع بهجماتهم الضئيلة دفعا ؛ وخلاصة ما يرونه أن هذه الأشعار تاريخية ، وأنها من نظم شاعر عاش فى القرن الثالث ق . م . وشهد جميع الحوادث الحربية ، التى ورد وصفها فى تلك المنظومات الرائعة

والحقيقة الراهنة لا تنشد فى قول جونسن الخصم اللدود ، ولا فى أقوال أنصار مكفرسن المتحزبين ، إنما تطلب فى قول فئة تقف موقف العدل والحق من هذه المسألة

والمقام يقصر عن التعرض لآراء جميع الذين يقفون هذا الموقف لكنا نكتفى بذكر أعظمهم شأناً وأبعدهم أثراً ، وأقربهم من الحقيقة ، أعنى به الكاتب الكبير ، والنقادة الاسكتلندى الشهير كامبل أوف إسْلوىْ Campbell of Isloy فقد وضع مؤلفاً فى هذا الموضوع اسمه : (قصص شعبية فى الجبال الغربية) Popular Tales of the West Highlands فند فيه زعم جونسن أن مكفرسن نظم آثاره الأدبية نظما ، دون أن يتأثر بأشعار عامية قديمة ، أو يقتبس منها أو ينقل عنها ، وإن هذه الحوادث والأسماء الواردة فى منظومات مكفرسن إنما هى موضوعة مختلقة ، وردت ليست مترجمة . فهو يقول أن الأبطال الأوشانين ، الذين وردت أسماؤهم فى قصائد مكفرسن ، عاشوا بحق ، وعُرفوا قبل أن يدوّن مكفرسن هذه الأشعار بأعوام

(البقية فى العدد القادم) مرسى القرس

لجنة التأليف والترجمة والنشر

تاريخ المسألة المصرية

EGYPT'S RUIN

أصدق كتاب فى تاريخ مصر ، ألفه تيودور رتشتين مكاتب اللواء المالى وصديق المرحومين مصطفى كامل باشا ومحمد فريد بك ، وكتب مقدمته المستر ولفورد بلنت صديق مصر الحميم ، ويمتاز بدقته وأمانته التاريخية وإنصافه الأمة المصرية ودعوته إنجلترا أن تبر بوعدها وتجلو عن وادى النيل لخيرها وخير الانسانية . وهو كما قال المستر بلنت : « ثمرة جهد عظيم ، بذله عقل شديد الملاءمة لموضوعه : لما طبع عليه من الدقة المتناهية ، ولاحاطته بالعوامل الخفية التى تسيطر على الشؤون المالية الأوربية ، والتى تنذر انجلترا بزوال ملكها » ترجمه الأستاذان عبد الحميد البادى ، ومحمد بدران . ويطلب من اللجنة والمكاتب الشهيرة ، وثمنه عشرون قرشاً